



شذرات الذهب

في أخبار من ذهب

لابن اعماد

الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحفيظ بن محمد العكري الخنباري الدمشقي
(١٠٨٩ - ١٠٣٢)

المجلد الثاني

حققه رعلن عليه

أشرف على تحقيق وطبع أمariesه

عبد القادر الأرناووط
محمود الأرناؤوط

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

- فيها نقض رخام الحائط القبلي من ناحية جامع دمشق الغربية، فوجد الحائط منحدباً فنُقض كأنه تغير من زلزلة فأخراب إلى الأرض مساحة خمسين ذراعاً، فبني، وأحدث فيه محراب للحنفية، وجدد ترخيم حيطان الجامع سوى المقصورة، وأركان القبة.
 - وفيها توفي الإمام القدوة عز الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني العراقي^(١) الشافعي، من ولد موسى الكاظم. سمع من والده، وحليمة بنت ولد جمال الإسلام، والبازائي، وجماعة. وأجاز له ابن يعيش، وابن رواج.
ونسخ بالأجرة، وتفرد، مع التقوى، والعلم، والوراع.
توفي بالشّغر في المحرّم عن تسعين سنة.
 - وفيها شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد العليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن تيمية الحرّاني^(٢) الحنبلي، بل المجتهد المطلق.
-
- (١) انظر «ذیول العبر» ص (١٥٦) و «دول الإسلام» (٢/٢٣٦) و «المنهل الصافي» (١/٢٤) و «الدُّرر الكامنة» (١/١٠).
- (٢) انظر «ذیول العبر» ص (١٥٧ - ١٥٨) و «دول الإسلام» (٢/٢٣٧) و «الإعلام بوفيات الأعلام» ص (٣٠٨) و «المعجم المختص» ص (٢٥ - ٢٧) و «معجم الشيوخ» (١/٥٦ - ٥٧) و «النجم الزاهرة» (٩/٢٧١ - ٢٧٢) و «الواقي بالوفيات» (٧/١٥ - ٣٣) و «فوات الوفيات» (١/٧٤ - ٨٠) و «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/٣٨٧ - ٤٠٨) و «الدُّرر الكامنة» (١/١٤٤ - ١٦٠) و «المقصد الأرشد» =

ولد بـحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم به والده وبأخوه عند استيلاء التتار على البلاد إلى دمشق سنة سبع وستين^(١)، فسمع الشيخ بها ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، والمجد بن عساكر، ويحيى بن الصيرفي، والقاسم الإربيلي، والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر، وغيرهم. وعني بالحديث، وسمع «المسندة» مرات، والكتب الستة. و«معجم الطبراني الكبير» وما لا يُحصى من الكتب والأجزاء. وقرأ بنفسه، وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره، فأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والشيخ زين الدين بن المنجبي، ويرع في ذلك، وناظر، وقرأ العربية على ابن عبد القوي. ثم أخذ «كتاب سيبويه» فأتمله وفهمه، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة، وغير ذلك من العلوم. ونظر في الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، وردد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدرис، وله دون العشرين سنة. وأتقى من قبل العشرين أيضاً. وأمد الله بكثرة الكتب، وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبطء السیان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه. ثم توفي والده وله إحدى وعشرون سنة، فقام بوظائفه بعده مدة، فدرس بدار الحديث التنكزية المجاورة لحمام نور الدين الشهيد في البزورية في أول سنة ثلاثة وثمانين، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين بن الركي، والشيخ تاج الدين الفزارى، وابن المرحل، وابن المنجبي، وجماعة، فذكر درساً عظيماً في البسملة، بحيث بهر الحاضرين، وأثنوا عليه جميعاً.

قال الذهبي: وكان الشيخ تاج الدين الفزارى يبالغ في تعظيم الشيخ تقى الدين، بحيث إنه علق بخطه درسه بالتنكزية.

= (١) ١٣٢ - ١٤٠ و «الدارس في تاريخ المدارس» (١/٧٥ - ٧٧)، وقد ترجم له ترجمة وافية والذي الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله نشرت في صدر رسالته «الأحاديث الموسوعة» المطبوعة في الكريت بتحقيقه.

(١) يعني سنة (٦٦٧) هـ.

ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع لتفسير القرآن العظيم، وشرع من أول القرآن، فكان يُورِّد في المجلس من حفظه نحو كُرَاسين أو أكثر. ويقيِّي يُفسِّر في سورة نوح عدَّة سنين أيام الجموع.

وقال الذهبي في «معجم شيوخه»: شيخنا، وشيخ الإسلام، وفريد العصر، علمًا، ومعرفةً، وشجاعةً، وذكاءً، وتنويراً إلهياً، وكرماً، ونصحاً للأمة، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر.

سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب، وخرج، ونظر في الرجال والطبقات، وحصلَ ما لم يحصله غيره، وبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبعِ سِيَالٍ، وخطاطر وقادٍ^(١) إلى مواضع الإشكال مِيَالٍ، واستنبط منه أشياء لم يُسبِّق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، فقلَّ من يحفظ ما يحفظ من الحديث معززاً إلى أصوله وصحابته، مع شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل. وفاق الناس في معرفة الفقه، واحتلَّ المذاهب، وفتاوِي الصحابة والتابعين، بحيث إنَّه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل بما يقوم دليله عنده. وأنقَنَ العربية أصولاً وفروعاً، وتعليلات واختلافاً. ونظر في العقليات، وعرَّفَ أقوال المتكلمين. وردَ عليهم، وبَهْ على خطئهم وحذَّر، ونصرَ السُّنَّة بأوضح حُجَّجٍ وأبهَرَ براهين، وأوذى في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السُّنَّة الممحضة، حتَّى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التَّقْوَى على محبته والدعاء له. وكَبَّتْ أعداءه، وهدى به رجالاً كثيرة من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً، وعلى طاعته. وأحيا به الشام، بل والإسلام، بعد أن كاد يتلثم خصوصاً في كائنة التatar، وهو أكبر من أن يُنْهَى على سيرته مثلِي، فلو حلَّفت بين الرِّكن والمقام لحلَّفتُ أني ما رأيت بعيوني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه. انتهى كلام الذهبي.

وكتب الشيخ كمال الدين ابن الزملکاني تحت اسم «ابن تَيْمَةً»: كان إذا سُئِلَ عن فنٍّ من العلم ظَنَّ الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفنّ، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في

(١) لفظة «قاد» لم ترد في «ذيل طبقات الحنابلة» (٣٨٩ / ٢) وهو المصدر الذي نقل عنه المؤلف.

مذاهبهم منه أشياء، ولا يُعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علمٍ من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها. وكتب الحافظ ابن سيد الناس في «جواب سؤالات الدِّيمَاطِي» في حق ابن تيمية: ألفيته من أدرك من العلوم حظاً. وكاد^(١) يستوعب السنن والأثار حفظاً. إن تكلم في التفسير، فهو حامل رايته، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر^(٢) بالحديث فهو صاحب علمه، وذو روایته، أو حاضر بالنَّحْلِ والمِلْلَ لِمَ يُرَأَ أَوْسَعَ مِنْ نَحْلَتِهِ، وَلَا أَرْفَعَ مِنْ دَرَائِتِهِ.

برز في كل فنٍ على أبناء جنسه، ولم تَرَ عِينَ مِنْ رَأَهُ مُثْلِهِ، وَلَا رَأَتْ عِينَهُ مِثْلَ نَفْسِهِ.

وقال الذهبي في «تاریخه الكبير» بعد ترجمة طولية: بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث.

وترجمة ابن الزَّمْلَكَانِي أيضاً ترجمة طولية وأثنى عليه ثناءً عظيماً، وكتب تحت ذلك:

مَاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ وَصِفَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْحَضْرِ
هُوَ حُجَّةٌ لِلَّهِ بَاهِرٌ هُوَ بَيْنَنَا أَعْجَوْنَةُ الدَّهَرِ
هُوَ آيَةٌ لِلْخَلْقِ ظَاهِرٌ أَنْوَارُهَا أَرَبَّتْ عَلَى الْفَجْرِ
وَلِلشِّيخِ أَثِيرِ الدِّينِ أَبِي حَيَّانَ النَّحْوِيِّ لِمَا دَخَلَ الشِّيْخَ مَصْرَ وَاجْتَمَعَ بِهِ فَأَنْشَدَ
أَبُو حَيَّانَ:

لَمَّا رَأَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا
عَلَى مُحَيَاهُ مِنْ سِيمَا الْأَلَى صَاحِبُوا
جِبْرُ تَسْرِيلَ مِنْهُ دَهْرُهُ جِبْرًا
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي نَصْرِ شِرْعَتِنا

(١) في «آ» و «ط»: «وكان» والتصحيح من «ذيل طبقات الحنابلة» مصدر المؤلف.

(٢) في «آ» و «ط»: «أودان» والتصحيح من «ذيل طبقات الحنابلة».

فَأَظْهَرَ الدِّينَ إِذْ آثَارَهُ دَرَسَتْ
يَا مَنْ تَحَدَّثَ عَنْ عِلْمِ الْكِتَابِ أَصْخَنْ
هَذَا الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُتَسْتَرُ
يُشَيرُ بِهِذَا إِلَى أَنَّهُ الْمَجْدُودُ.

وَمِنْ صَرْحِ بَذَلِكَ الشِّيخِ عَمَادِ الدِّينِ الْوَاسْطِيِّ، وَقَدْ تَوَفَّى قَبْلَ الشِّيخِ. وَقَالَ
فِي حَقِّ الشِّيخِ بَعْدِ ثَنَاءِ طَوْبِيلِ جَمِيلِ مَا لَفْظُهُ: فَوَاللَّهِ، ثُمَّ وَاللَّهِ، ثُمَّ وَاللَّهِ، لَمْ يُرِ
تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مُثْلِ شِيخِكُمْ أَبْنَى تَيْمِيَّةَ، عَلِمًا، وَعَمَلًا، وَحَالًا، وَخُلُقًا وَاتِّبَاعًا،
وَكَرْمًا، وَحَلْمًا، وَقِيَامًا فِي حَقِّ اللَّهِ عِنْدَ انتِهَاكِ حُرْمَاتِهِ، أَصْدَقَ النَّاسَ عَقْدًا،
وَأَصْحَاهُمْ عَلِمًا، وَعَزْمًا، وَأَنْفَذُهُمْ وَأَعْلَاهُمْ فِي انتِصَارِ الْحَقِّ وَقِيَامِهِ هَمَّةً،
وَأَسْخَاهُمْ كَفَّاً، وَأَكْمَلُهُمْ اتِّبَاعًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مَا رَأَيْنَا فِي عَصْرِنَا هَذَا مِنْ
تَسْتَجْلِي النُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَسُنْنَهَا مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ إِلَّا هَذَا الرَّجُلُ، يَشَهِّدُ الْقَلْبُ
الصَّحِيحُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْاتِّبَاعُ حَقِيقَةً.

وَقَالَ الشِّيخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ أَبْنَى تَيْمِيَّةَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ
بِهِ: كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ فَقَالَ: رَأَيْتَ رَجُلًا سَائِرَ الْعِلُومِ بَيْنَ عَيْنِيهِ، يَأْخُذُ مَا شَاءَ مِنْهَا
وَيَتَرَكُ مَا شَاءَ، فَقَيْلٌ لَهُ: فَلِمَ لَا تَتَنَاطِرُ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يُحِبُّ الْكَلَامَ وَأَحَبُّ السَّكُوتِ.

وَقَالَ بُرهَانُ الدِّينِ بْنُ مُفْلِحٍ فِي «طِبَاقَتِهِ»^(۱): كَتَبَ الْعَلَامَةُ تَقِيُّ الدِّينِ
السُّبُكِيُّ إِلَى الْحَافِظِ الْذَّهَبِيِّ فِي أَمْرِ الشِّيخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ، فَالْمُمْلُوكُ يَتَحَقَّقُ
[أَنَّ] قَدْرَهُ وَزَخَارَةُ بَحْرِهِ وَتَوْسِعَتِهِ فِي الْعِلُومِ الْشَّرْعِيَّةِ وَالْعُقْلِيَّةِ، وَفَرَطَ ذَكَارَهُ
وَاجْتِهَادَهُ، وَأَنَّهُ^(۲) بَلَغَ مِنْ ذَلِكَ كُلَّ الْمُبْلَغِ الَّذِي يَتَجَاوزُهُ الْوَصْفُ، وَالْمُمْلُوكُ يَقُولُ
ذَلِكَ دَائِمًا، وَقَدْرُهُ فِي نَفْسِي أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَجْلٌ، مَعَ مَا جَمَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ
الْزَّهَادَةِ، وَالْوَرَعِ، وَالْدِيَانَةِ، وَنَصْرَةِ الْحَقِّ، وَالْقِيَامِ فِيهِ لَا لِغَرْضِ سُواهُ، وَجَرِيَّهُ عَلَى
سِنِّ السَّلْفِ، وَأَخْذُهُ مِنْ ذَلِكَ بِالْمَأْخُذِ الْأَوْفِيِّ، وَغَرَابَةُ مِثْلِهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، بَلْ فِي
أَزْمَانٍ. اِنْتَهَى.

(۱) انظر «المقصد الأرشد» (۱۳۶/۱) ولفظة «أن» مستدركة منه.

(۲) لفظة « وأنه » لم ترد في «المقصد الأرشد» فلتستدرك.

وقال العلامة الحافظ ابن ناصر الدين في «شرح بديعته»^(١) بعد ثناء جميل وكلام طويل: حَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ، مِنْهُمُ الْذَّهَبِيُّ، وَالْبِرْزَالِيُّ، وَأَبُو الْفَتْحِ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ، وَحَدَّثَنَا عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ شِيوخِنَا الْأَكِيَاسِ.

وقال الذهبي في عَدَّ مصنفاته المَجَوَّدة: وما أَبْعَدَ أَنْ تَصَانِيفَهُ إِلَى الْآنِ تَبْلُغَ خَمْسَمَائَةً مَجْلِدًا.

وأثني عليه الذهبي وخلق ثناء حميد^(٢)، منهم الشيخ عماد الدين الواسطي العارف، والعلامة تاج الدين عبد الرحمن الفزارى، وابن الزَّمْلُكَانِيُّ، وأبو الفتح ابن دقيق العيد^(٣).

وَحَسْبُهُ مِنْ الثَّنَاءِ الْجَمِيلِ قَوْلُ أَسْتَاذِ أَئْمَةِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ أَبِي الْحَجَاجِ الْمِزَّيِّ الْحَافِظِ الْجَلِيلِ، قَالَ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ، وَلَا رَأَى هُوَ مِثْلَ نَفْسِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ، وَلَا أَتَيْتُ لَهُمَا مِنْهُ.

وترجمه بالاجتهاد وبلغ درجه، والتمكن في أنواع العلوم والفنون، ابن الزملكانى ، والذهبى ، والبرزالى ، وابن عبد الهادى ، وآخرون .

ولم^(٤) يختلف بعده من يقاربه في العلم والفضل. انتهى كلام ابن ناصر الدين ملخصاً.

وكان الشيخ العارف بالله أبو عبد الله ابن قوام يقول: ما أسلمت معارفنا إلا على يد ابن تيمية.

وقال ابن رجب: كانت العلماء، والصلحاء، والجند، والأمراء، والتجار، وسائر العامة تحبه، لأنه متتصب لنعمتهم ليلاً ونهاراً، بلسانه، وعلمه.

(١) يعني في «التبیان شرح بدیعة البیان» (١٨٥ / ب - ١٨٦ / آ).

(٢) في «آ»: «جميل» وما جاء في «ط» موافق لما في «التبیان شرح بدیعة البیان» مصدر المؤلف.

(٣) في «آ» و «ط»: «وأبو الفتح وابن دقيق العيد» وهو خطأ والتصحیح من «التبیان شرح بدیعة البیان» مصدر المؤلف، فابن دقيق العيد كان يُخْنَى بأبي الفتح.

(٤) في «آ» و «ط»: «ولا» والتصحیح من «التبیان شرح بدیعة البیان» مصدر المؤلف.

ثم قال ابن رجب وغيره: ذكر نبذة من مفرداته وغرائبه:
اختار ارتفاع الحدث بالمياه المعتصرة كماء الورد ونحوه.
والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير قليلاً كان
أو كثيراً.

والقول بجواز المسح على النعلين والقدمين وكل ما يحتاج في نزعه من
الرجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الأخرى، فإنه يجوز المسح عليه مع القدمين.
واختار أن المسح على الخفين لا يتوقف مع الحاجة، كالمسافر على البريد
ونحوه، وفعل ذلك في ذهابه إلى الديار المصرية على خيل البريد، ويتوقف مع
إمكان النزع وتيسره.

واختار جواز المسح على اللفائف ونحوها.

واختار جواز التيمم لخشية^(١) فوات الوقت في حق غير المعدور، كمن أخر
الصلاوة عمداً حتى تضيق وقتها. وكذا من خشي فوات الجمعة والعبددين وهو
محدث.

واختار أن المرأة إذا لم يمكنها الاغتسال في البيت وشق عليها النزول إلى
الحمام وتكرره، أنها تييم وتصلي.

واختار أن لا حد لأقل الحيض ولا لأكثره، ولا لأقل الطهر بين الحيضتين،
ولا لسن الإياس [من الحيض]^(٢)، وأن ذلك يرجع^(٣) إلى ما تعرفه كل امرأة
من نفسها.

واختار أن تارك الصلاة عمداً لا يجب عليه القضاء، ولا يشرع له، بل يكثر من
النوافل^(٤).

(١) في «آ» و«ط»: «بخشية»، والتصحيح من «ذيل طبقات الحنابلة» (٤٠٤ / ٢).

(٢) ما بين الحاضرين مستدرك من «ذيل طبقات الحنابلة» (٤٠٥ / ٢).

(٣) في «ذيل طبقات الحنابلة»: «وأن ذلك راجع».

(٤) أقول: أي لا يمكنه أن يتدارك ما فاته إلا بالإكثار من صالح الأعمال. (ع).

وأن القصر يجوز في قصير السفر وطويله ، كما هو مذهب الظاهريه.

واختار القول بأن البكر لا تستبرأ وإن كانت كبيرة، كما هو قول ابن عمر واختاره البخاري صاحب «ال الصحيح».

والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء، كما هو مذهب ابن عمر واختيار البخاري .

والقول بأن من أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل وكان نهاراً لا قضاء عليه كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإليه ذهب بعض التابعين وبعض الفقهاء بعدهم.

والقول بجواز المسابقة بلا محلّ وإن أخرج المتسابقان.

والقول باستبراء المختلعة بحىضة، وكذلك الموطوعة بشبهة، والمطلقة آخر ثلاث تطليقات .

والقول بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين .

وجواز طواف الحائض، ولا شيء عليها إذا لم يمكنها أن تطوف طاهراً.

والقول بجواز بيع الأصل بالعصير، كالزيتون بالزيت، والسمسم بالسّيرج .

والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلي وغيره كالخاتم ونحوه بالفضة متفضلأً، وجعل الزايد من الثمن في مقابلة الصنعة والقول .

ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الإفتاء بها محن وقلائل قوله بالتكفير في الحلف بالطلاق، وأن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة، وأن الطلاق المحرّم لا يقع، وله في ذلك مؤلفات كثيرة لا تنحصر ولا تنضبط.

وقال ابن رجب: مكث الشيخ معتقلًا في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثم مرض بضعة وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته.

وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشري ذي القعدة، ذكره مؤذن القلعة

على منارة الجامع، وتكلّم به الحرس على الأبرجة، فتسامع الناس بذلك، وبعضهم علم به في منامه، واجتمع الناس حول القلعة حتى أهل الغوطة والمُرج، ولم يطبع أهل الأسواق، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين، وفتح باب القلعة.

واجتمع عند الشيخ خلق كثير من أصحابه ي يكون ويشرون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعما في الحادية والثمانين، وانتهيا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

فشرع حينئذ الشیخان الصالحان عبد الله بن المحب الصالحي، والزرعي الضرير - وكان الشيخ يحب قراءتهما - فابتدا من سورة ﴿الرَّحْمَن﴾ حتى ختما القرآن.

وخرج من عنده من كان حاضراً إلا من يغسله ويساعد على تغسله، وكانوا جماعة من أكابر الصالحين وأهل العلم، كالزمي وغيرة، وما فرغ من تغسله حتى امتلأت القلعة وما حولها بالرجال، فصلى عليه بدركات القلعة الزاهد القدوة محمد بن تمام، وضج الناس حينئذ بالبكاء، والثناء، والدعاء بالترحم.

وأخرج الشيخ إلى جامع دمشق، وصلوا عليه الظهر، وكان يوماً مشهوداً^(١) لم يعهد بدمشق مثله، وصرخ صارخ: هكذا تكون جنائز أئمة السنة، فبكى الناس بكاءً كثيراً، وأخرج من باب البريد، واشتد الزحام، وألقى الناس على نعشه مناديلهم، وصار النعش على الرؤوس يتقدم تارة ويتأخر أخرى، وخرجت جنازته من باب الفرج، وازدحم الناس على أبواب المدينة جميعاً للخروج، وعظم الأمر بسوق الخيل، وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه عبد الرحمن، ودفن وقت العصر أو قبلها بيسير إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية. وحضر من حضر جنازته بمائتي ألف، ومن النساء بخمسة عشر ألفاً. وختمت له ختمات كثيرة، رحمه الله ورضي عنه.

(١) تحرفت في «ط» إلى «مشهواً».